

تفضيل طفل عن الآخر

أنا وأنت على الطريق

تكلّمتنا في الحلقات السابقة عن أسرار نجاح الأمومة المتعددة ، واليوم سنتكلم عن موضوع آخر يساعدك سيدتي لكي تكوني أما عادلة وموضع ثقة أولادك.

تقول هايدي حنا تحت عنوان لا تزرعي الغيرة بين أولادك هذه الكلمات: قد تتعجبين من هذا العنوان وتتساءلين: كيف لي أن أزرع الغيرة بين أولادي؟ وهل هذا معقول؟ نعم، تجيب هايدي حنا وتقول: الغيرة نزرعها نحن الآباء والأمهات دون قصد عندما نفضل أحد الأبناء عن إخوته . فنحن بشر ومهما كانت محبتنا لأولادنا نجد أنفسنا أحيانا نميل لطفل أكثر من أخيه بسبب أنه مثلا أكثر ذكاء أو أكثر هدوءا أو أكثر طاعة.

إنّ تفضيل طفل عن آخر ومحبة ولد أكثر من باقي إخوته بسبب صفاته يؤدي إلى زرع بذرة الغيرة في قلب الطفل. وهذه البذرة بمرور الأيام تكبر وتتمو حتى يحصد نتيجة هذا كل من الآباء والأبناء ما حدث مع رفقة وإسحق وأبنائهما عيسو ويعقوب.

فهل سمعت يا سيدتي بقصة أبينا إسحق وزوجته رفقة وأولادهما التوأمين عيسو ويعقوب؟ إذن إسمعي هذه القصة المدونة في سفر التكوين أي سفر التأسيس من الكتاب المقدس عن هذا الموضوع بالذات. والتي فيها من العبر الكثير. فنقرأ في الفصل الخامس والعشرين هذه الآية: أحب إسحق عيسو لأنه كان صيادا جالبا الخير للأسرة. أما يعقوب فكان يسكن الخيام في هدوء. كانت رفقة تحب يعقوب... وهنا يا سيدتي حدثت المشكلة. فاسمعي ماذا حصل:

لقد عرف كل من يعقوب وعيسو هذه الحقيقة واشتعلت في قلب عيسو لأنه عرف أن أمه تحب أخاه أكثر منه. جاء عيسو من الصيد يوما وقد أصابه الإعياء الشديد وكان يشعر بالجوع . وإذ به يرى يعقوب وهو يعد الطعام وطلب عيسو من يعقوب طعاما من الذي أعده . وقبل أن يجيب يعقوب قال في نفسه: أليس هذا عيسو الذي يحبه أبي أكثر مني وله كل شيء البكورية والبركة؟ سأتركه حتى يموت جوعا ولنرَ هل الصيد الذي يتباهى به أمام أبي سينفعه أم لا... سأجعل أبي يفتقده فأنال أنا نصيبي من الحب من أبي وكذلك البكورية والبركة.

بدأ يعقوب يعرض على عيسو أن يأخذ منه البكورية مقابل طبق عدس. لم يعط عيسو لنفسه فرصة للتفكير . لقد كان جائعا جدا فوافق على هذه المقايضة فورا وتنازل عن بكوريته لأخيه من أجل طبق من العدس.

مرت الأيام بعد ذلك وشعر أبونا إسحق بأنه أشرف على الموت. فطلب من ابنه المفضل عيسو أن يصطاد ويصنع له طعاما ويقدمه له حتى يباركه قبل موته حسب الطقوس في ذلك الزمن. سمعت رفقة زوجة إسحق الكلام الذي جرى فلم يعجبها. لأنها كانت تحب يعقوب الابن الثاني. فدبرت مكيده مع ابنها المفضل يعقوب حيث قام يعقوب بجلب جديين من أغنامهم وأعدت رفقة طعاما بالطريقة التي يحبها اسحق. ثم ألبست يعقوب من ملابس عيسو الفاخرة حتى تلتصق به رائحة عيسو ، وألبسته من يده حتى عنقه جلد الجديين لأن عيسو كان مشعرا ، وهكذا حتى لا يعرفه أبوه إسحق. لأن إسحق كان ضعيف النظر.

وبالفعل نجحت خطة رفقة حيث بارك اسحق يعقوب عندما دخل إليه وقدم الطعام. ولم يكتشف اسحق أنه يعقوب بل باركه على أنه عيسو الابن البكر. ثم جاء من بعده عيسو طالبا من أبيه البركة لكن بعد فوات الأوان.

أجل يا سيدتي هذا ما حصل بين عيسو ويعقوب أخيه. فحقد عيسو على يعقوب أخيه لأنه سلبه كل شيء. سلب حب أمه رفقة وسلب البكورية منه وأخيرا سلبه بركة أبيه. وكره عيسو أخاه . زليس هذا فحسب بل غضب عليه وأراد أن يقتله. ولما علمت رفقة الأم بذلك أمرت يعقوب بالرحيل والهرب من وجه أخيه. فرحل إلى حاران بعيدا عن مكان سكناه. وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي ترى فيها رفقة الأم ابنها يعقوب لأنه لم يرجع إلا بعد موتها وموت أبيه. ماذا كانت النتيجة المحبة الخاصة ليعقوب؟ ألم تثر بذلك غيرة أخيه يعقوب..وعليه فلقد خسرت رفقة ابنها التي أحبته، وخسر عيسو كل شيء وفي النهاية خسر يعقوب وعيسو بعضهما البعض. ومضت سنون كثيرة قبل أن يعود يعقوب ليطلب السماح والغفران من أخيه عيسو على مكره وخداعه .

يا سيدتي.. لا تتعجبي أن الغيرة عندما تزداد بين الأولاد تتحول لكرهية وحقد. فهل أنت حكيمة بالحق والفعل؟ لا تقارنين بين الأولاد يا سيدتي . فلقد خلق الله كل إنسان مختلفا عن الآخر. وهكذا عليك أن تقبلهم جميعا بصفاتهم الحسنة وصفاتهم السيئة. حتى ولو كان أحدهم متمردا فينبغي عليك يا سيدتي الأم أن تعامله بعدل ورفق وحنان وألا تقارني بينه وبين أخيه الأكثر طاعة منه مثلا.

أتعلمين سيدتي المستمعة الأم، أن الله سبحانه وتعالى يحبنا جميعا محبة واحدة. ولا يفرق بين إنسان وآخر أو بين ذكر وأنثى. فالجميع واحد في نظره. حتى إن البشير يوحنا دون في الإنجيل المقدس مسوقا بالروح القدس هذه الآية الشهيرة التي قالها الفادي والمخلص يسوع المسيح والمعروف عند البعض ب عيسى بن مريم قال: لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.

فهل سمعت بهذه الكلمات من قبل؟ نعم لقد أتى الفادي والمخلص يسوع المسيح من السماء لكي يعلن محبة الله لبني البشر أجمعين يا سيدتي. لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة في دار النعيم. نعم يا سيدتي، لقد أحبنا الله بالرغم من تمردنا وعصياننا عليه تعالى. وبين محبته لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا. فهل أدركت محبة الله لك شخصيا يا عزيزتي؟ وهل وثقت بها وآمنت بما عمله من أجلك لكي تخلصي من عقاب خطاياك؟ عندها تبدأين تنظرين بعين المحبة لأولادك وتقبلينهم كما هم ودون تفريق.